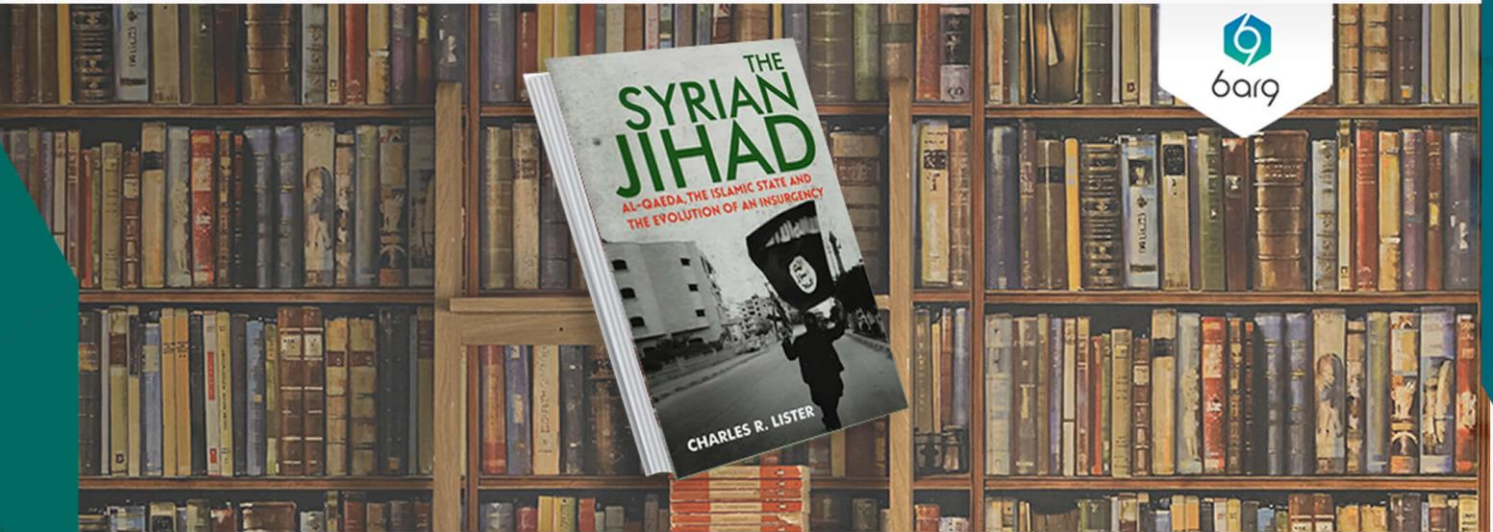


مركز برق للاستشارات والدراسات المستقبلية

الجهاد السوري



قراءة عن كتاب

الباحث : محمد سالم

الكاتب " تشارلز ليستر "



barq
New idea..New life



barq-rs.com



fb.com/barqrs



info@barq-rs.com



twitter.com/barq_rs



00905373505576

00902125508748



Akşemsettin, Fevzi Paşa.Cd
No:33,34080 Fatih/İstanbul

نبذة عن المؤلف:

تشارلز ليستر زميل زائر سابق في مركز بروكنجز الدوحة، وهو زميل في معهد الشرق الأوسط في الولايات المتحدة، ركزت أبحاثه على الإرهاب والتمرد والتهديدات الأمنية على مستوى ما دون الدولة في منطقة الشرق الأوسط بشكل عام، وبلاد الشام بشكل خاص. في الآونة الأخيرة، ركز ليستر عمله بشكلٍ شبيه حصري على تقييم حالة الصراع في سوريا عموماً، وتشكيلة التمرد المناهض للنظام السوري ومكوناته الجهادية بشكل خاص. وقد تتلّب ذلك منه التواصل وجهاً لوجه مع قيادات لأكثر من ١٠٠ مجموعة من مجموعات المعارضة من كافة أطراف المجتمع السوري.

أولاً- أهم ما جاء في عرض المؤلف عن كتابه:

أقام "معهد الشرق الأوسط" ندوة علمية حول الكتاب الذي صدر في أواخر العام ٢٠١٥ (أي بُعيد بداية التدخل الروسي)^١، حيث عرض فيها المؤلف أهم ما ورد في كتابه، كما رد على أسئلة الحاضرين حول الكتاب.

حيث أكد الباحث على أنّ سورية قد باتت معقلاً للجماعات "الجهادية العالمية السنية"، والتي يُعرّفها بأنها تلك التي تمتلك طموحات وأجندات عالمية لا تقتصر على الأجندات الوطنية والمحلية السورية.

١) بنية تحتية للجماعات الجهادية أرساها النظام السوري:

يُسهب المؤلف في عرضه عن دور النظام السوري واستخباراته في إرساء البنية التحتية للجماعات الجهادية التي نشاهدها في الساحة السورية حالياً، مؤكداً على أنّه من الضرورة بمكان لفهم السياق السوري استعراض دور النظام السوري في استخدام الجماعات الجهادية قبل اندلاع الاحتجاجات الثورية في العام ٢٠١١.

ويرى المؤلف بأنّ الاستخبارات العسكرية السورية قد ساهمت بشكل مباشر في تأسيس تلك الجماعات وإرساء بنيتها التحتية، ثم استخدامها لتحقيق الأجندات الخارجية للنظام السوري.

٢) النظام السوري يشارك في تأسيس نواة القاعدة – داعش في العراق:

ويستشهد المؤلف على ذلك بما حدث بعد ابتداء الولايات المتحدة وبريطانيا هجوماً على العراق، حيث قام المفتي العام لسورية، وفي مرحلة مبكرة من الهجوم على العراق بإصدار فتوى بوجوب القتال ضد احتلال العراق من قبل الولايات المتحدة، وخلال إحدى عشر يوماً الأولى من احتلال العراق كان خمسة آلاف جهادي^٢ قد تسللوا إلى العراق، برعاية مباشرة من استخبارات النظام السوري، حيث تم نقل الكثير منهم الكثير منهم عبر باصات من المدن الكبرى كحلب ودمشق إلى الحدود العراقية، والذين بدورهم كانوا عملياً نواة لتنظيم القاعدة، والذي وُلدت داعش من رحمته فيما بعد.

^١ نشرت الندوة على قناة معهد الشرق الأوسط على اليوتيوب في ٢٠١٦/٠٣/٠٤، أنظر:

[The Syrian Jihad: A Book Launch with Charles Lister](#)

^٢ كان التفاعل مع الحالة العراقية شعبياً في ذلك الوقت، ولا يمكن إطلاق توصيف "الجهاديين" على غالبية من تفاعل من الشباب المتحمس ذوي الدوافع المتفاوتة المختلطة بين الدين والنخوة...، على الرغم من مشاركة بعضهم – وتحديد النسب يحتاج إلى دراسات في جماعة "التوحيد والجهاد" التي قادها الزرقاوي، وكانت نواة لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، ومن ثم "دولة العراق الإسلامية"، التي ولدت "داعش".

كما أشار المؤلف إلى شخصية لعبت دوراً أساسياً في التحشيد إلى ذلك، وهي الشيخ محمود قول أغاسي (أبو القعقاع)، وفي حديثه عن الشخصية الجدلية "أبو القعقاع"، يذكر الباحث بأنه تحدث إلى عدد من ضباط الأمن السابقين في النظام السوري حول المدعو "أبو القعقاع"، والذين أفادوه بأن "أبو القعقاع" كان قد وصل إلى حلب في ١٩٩٩ م، ثم تم إخراج هوية له بدون عنوان مسجل أو معلومات حقيقية من قبل سلطات النظام السوري، وقد زودته الاستخبارات العسكرية بمختلف الوثائق التي تسمح له بالتحرك، وفي أعقاب عملية ١١ أيلول، احتفل "أبو القعقاع" بالعملية باعتبارها نصراً مبيناً للجهاد العالمي.

وبحسب ما يذكره المؤلف، فقد أدى احتفال "أبو القعقاع" بعملية ١١ أيلول أدى إلى توتر دولي وإقليمي، مما اضطر الاستخبارات العسكرية التابعة للنظام السوري لاعتقاله مع نائبه المسى "أبو ابراهيم" لبعض الوقت.

كما يؤكد الباحث على أنّ العديد من قادة القاعدة ودولة العراق قد تلقوا العلاج في سورية، وذلك بين الأعوام ٢٠٠٧ و ٢٠١٠.

٣) النظام السوري يستثمر الإرهاب في لبنان:

ويتابع المؤلف حديثه عن استخدام النظام السوري للجهاديين في بلد مجاور آخر غير العراق، فبعد انسحاب النظام السوري من لبنان، أبقى النظام لنفسه العديد من الأوراق ليلعب بها هناك، وبعد العام ٢٠٠٦ نقلت الاستخبارات العسكرية التابعة للنظام السوري جزءاً من نشاط الجماعات الجهادية إلى لبنان، بما يشبه عملية إعادة تصدير للجماعات الجهادية إلى لبنان.

وقد استمرت الاستخبارات العسكرية التابعة للنظام السوري، ولعدد من الأسباب بتواصلها المكثف مع جماعتين جهاديتين، واحدة في جنوب البلاد، وكانت تسمى "عصبة الأنصار"، وأخرى في الشمال، وكانت تسمى "فتح الإسلام"، وقد اشتبكت "فتح الإسلام" مع الجيش اللبناني لمدة أربعة أشهر مما أدى إلى مقتل أربعمئة شخص، وكان جلاً مقاتلي فتح الإسلام ممن سهلت الاستخبارات السورية وصولهم إلى لبنان، ويذكر الباحث بأن تلك الجماعات قد استخدمت في تنفيذ اغتالات ضد الشخصيات المعارضة للنظام السوري.

وبعد انتهاء عمليات الجيش اللبناني ضد "فتح الإسلام"، عاد من بقي حياً من "فتح الإسلام" بعد خسارتهم لمعركة نهر الباراد إلى سورية مجدداً، ونفذ القليل منهم هجمات في سورية، فيما تم إعادة تصدير معظمهم مع قادمين آخرين مرة أخرى إلى العراق، وفي ذلك الوقت، عبر مئات الجهاديين مجدداً إلى العراق.

٤) تأسيس "جبهة النصرة" – الفرع السوري لقاعدة العراق:

بعد بداية احتجاجات الثورة السورية في ٢٠١١، اقترح العقيد "حجي بكر" نائب أمير "دولة العراق الإسلامية" على أميره أبو بكر البغدادي إنشاء جناح سوري لـ "دولة العراق الإسلامية"، وتمت الموافقة على الاقتراح بسرعة، حيث تحرك والي "دولة العراق الإسلامية" على الموصل، والذي يحمل الجنسية السورية المدعو "أبو محمد الجولاني" إلى الشمال الشرقي السوري مع ستة من القادة الآخرين (اثنان منهم على الأقل تلقوا علاجاً في سورية من قبل)، وذلك في آب ٢٠١١، وبمجرد وصولهم، قاموا بتفعيل الشبكة القديمة، والبيوت الآمنة التي استخدموها خلال السنوات الستة الماضية قبل ذلك، وكان نموهم سريعاً جداً، ومما ساعد على ذلك إطلاق النظام السوري لمئات من السجناء الإسلاميين، والذين نشطوا في تأسيس المجموعات الإسلامية المختلفة إضافة إلى جبهة النصرة، وما قد عُرف لاحقاً بداعش، وكان واضحاً أن النظام يريد تفويض المعارضة من خلال تلك العملية.

٥) تنافس فرعي تنظيم القاعدة واختلاف نهج كل فرع:

وفي شهر نيسان من العام ٢٠١٣، حدث الانقسام المعروف عندما أعلن البغدادي تبعية فرعه السوري "جبهة النصره" له، فيما ردّ زعيم جبهة النصره "أبو محمد الجولاني" برفض ذلك الإعلان، مع إعلان التبعية لتنظيم القاعدة الأم من خلال بيعة أمير تنظيم القاعدة "أيمن الظواهري".

وفي حين ينتهج تنظيم داعش نهج التكفير والإقصاء التام لكل ما عداه من الجماعات الأخرى، تنتهج جبهة النصره نهجاً براغماتياً - عملياً محافظاً، بحيث تستغل ظروف البيئة المحلية للحشد لنهجها وفكرها، ولتعزيز سيطرتها لأطول فترة ممكنة، في محاولة للاستفادة من تجارب سابقة فاشلة مشابهة في كل من اليمن ومالي، حيث حاول تنظيم "أنصار الشريعة"، الفرع اليمني للقاعدة بين الأعوام ٢٠٠٨ - ٢٠١١ تقديم الخدمات للمدنيين في مناطق سيطرته، ولم تنجح تلك التجربة بطبيعة الحال، ولم تكن تجربة القاعدة الثانية في مالي أوفر حظاً، في حين تبدو تجربتهم في سورية الأكثر نضجاً وإحكاماً، حيث قلما تجد من يدين جبهة النصره من تشكيلات المعارضة والمدنيين نتيجة النهج "البراغماتي" للنصره مقارنة ب تنظيم "داعش"^٣.

كما يرى الكاتب بأنّ جبهة النصره لا تزال تحمل نهج القاعدة رغم طابعها المحلي، وأنها لا تزال تريد مهاجمة المدن الأمريكية، وأنّ الظروف الحالية تهيئ لها أفضل الفرص لترسيخ "بنية تحتية" لها.

٦) عوامل احتضان المجتمع السوري لجبهة النصره:

وفيما يتعلق بالعوامل التي أدت إلى احتضان المجتمع السوري لـ "جبهة النصره"، أكد الباحث على أنّ "النصره" ومنذ تأسيسها في كانون الثاني ٢٠١٢ وحتى آب من العام نفسه لم تحظ بقاعدة شعبية، وكان العديد من الناشطين في المعارضة يعتقدون بأنها قد أنشئت من قبل النظام بهدف تقويض الثورة، ولكن، ومع بداية آب ٢٠١٢ بدأت جبهة النصره بإقامة نوع من التحالفات من خلال طلبها من الفصائل المحلية القتال على جبهة واحدة.

ومما زاد في المشروعية الداخلية للنصره حاجة المعارضة إليها على جبهات القتال كونها أثبتت جدارتها في قتال النظام، وفي الوقت الذي لا تتلقى فيه قوات المعارضة فيه أي دعم كاف من المجتمع الدولي.

ومع ذلك، يؤكد الباحث مراراً وتكراراً على ان التحالف بين "جبهة النصره" وفصائل المعارضة السورية لا يعني بأن فصائل المعارضة تحب "القاعدة" أو تنتهي إليها أو تتبنى نهجها.

كما انتقد الباحث توجه الإدارة الأمريكية لضخ مختلف أنواع الدعم للأكراد دون فصائل المعارضة السنية، معتبراً بأنّ ذلك قد أدى إلى صراع سياسي في الشمال السوري بعدما بدأت مليشيات YPG بمهاجمة فصائل المعارضة، كما أكد على أنّ دعم فصائل المعارضة مهم جداً في قتال

^٣ ينبغي ملاحظة الفارق الزمني بين وقتنا الحالي، والوقت الذي أدلى الباحث فيه برأيه (نهاية ٢٠١٥)، مع ذلك، لا يلغي هذا حقيقة البراغماتية الشديدة، وغير المتوقعة لـ "جبهة النصره"، والتي تحولت بسرعة إلى "فتح الشام" بعد زعم فك ارتباطها بالقاعدة، ثم إلى "هيئة تحرير الشام"، ثم قبولها بالتدخل التركي بل وموارثته بعد أن أنهت عدداً من الفصائل بحجة قبولها التدخل التركي ومخرجات أستانا، الأمر الذي يؤكد على براغماتية غير مسبوقه للقاعدة في سورية...

تنظيم "داعش"، على اعتبار أن أغلب المناطق الحيوية التي تسيطر عليها "داعش" هي مناطق عربية سنية، مما يُصعّب على وحدات الحماية الكردية اقتحامها، الأمر الذي يؤكد الحاجة لدعم فصائل المعارضة التي تمثل مجتمعاتها المحلية العربية السنية.

٧) حركة أحرار الشام والتحول من الجهادية العالمية إلى المحلية الوطنية:

وحول مظاهر تحول الجهاديين السوريين من الجهاد العالمي إلى تصورات وأدبيات الجهاد المحلي، مع بروز الدافع القوي لهم للقتال في بلادهم الأصلية، يرى المؤلف بأن حركة أحرار الشام تشكل مثلاً مهماً على ذلك التحول، حيث كان العديد من قادتها يحملون تصورات الجهاد العالمي، لكنهم تحولوا إلى تبني تصورات الجهاد القطري (المحلي) المحدود بالحدود السورية.

كما رأى الباحث بأن بقاء الأسد ونظامه يُشكّل عامل الجذب الأهم والأكبر لحدوث الجهاديين، وتشكيل بيئتهم الحاضنة، منتقداً تجاهل الحكومة الأمريكية لكون الأسد أساس المشكلة.

وأكد الباحث على أنّ التدخل الروسي يدفع المعارضة نحو "التطرف السياسي" الذي يختلف عن "التطرف الديني" بسبب عدم وجود دعم غربي ذو مصداقية، فيما توقع بأن النصرة قد تنفصل عن القاعدة، لكن ذلك لن يغير شيئاً من حقيقتها.

ثانياً- مقتطفات من الكتاب ومراجعات لباحثين حوله:

يتناول الباحث في كتابه الحديث عن أكثر من عشرين جماعة جهادية في سورية معتمداً بحسب ما قال على مقابلاته لأكثر من مئة شخصية من مختلف شخصيات المعارضة السورية، ويعتبر الكاتب بأن جبهة النصرة وما تبديه من براغماتية تشكل التحدي الأبرز أمام المجتمع الدولي. ويُقدّر الباحث مجموع أعداد مختلف الجماعات الجهادية بحوالي خمسين ألف عنصر أتى أكثر من نصفهم من خارج سوريا.

وحول الفروقات بين حركة أحرار الشام وجبهة النصرة، يشير الباحث إلى أنه وعلى الرغم من التعاون الموجود بين النصرة وحركة أحرار الشام، فإن أحرار الشام تميل إلى أن يكون لها طموحات وطنية، وهي تنتهج نهجاً سياسياً مختلفاً، حيث صرح هاشم الشيخ^٥ زعيم أحرار الشام بأن ارتباط النصرة بالقاعدة يشكل تهديداً للشعب السوري.

و يشير الباحث إلى الخلاف الكبير الذي حصل داخل الجهاديين وفروع تنظيم القاعدة تحديداً (جبهة النصرة وتنظيم الدولة) عندما أعلن تنظيم الدولة عن تبعية جبهة النصرة له، ومن ثم إعلان جبهة النصرة عن رفضها لتبعيةها لتنظيم الدولة، ومبايعة زعيمها (الجولاني) لزعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري، مؤكداً على أنه لا يرى أي فرصة للمصالحة بين الفريقين، وفي حين ينتهج تنظيم الدولة تكفير كافة فصائل وجماعات المعارضة السورية، عملت النصرة على إقامة علاقات جيدة مع مختلف تلك الجماعات، الأمر الذي أدى إلى عدم تنديد جماعات المعارضة السورية بها عندما أعلنت تبعيةها للقاعدة الأم من خلال بيعة الجولاني للظواهري^٦.

^٤ انفصلت النصرة عن القاعدة فيما بعد، ولا زال الكثير من الباحثين والناشطين السوريين يرون بأنّ هذا الانفصال لم يغير من نهج المجموعة.
^٥ من المعروف أن هاشم الشيخ انفصل عن حركة أحرار الشام فيما بعد، وأصبح قائداً عاماً لهيئة تحرير الشام قبل أن يترك منصبه لاحقاً بعد انفصال حركة نور الدين الزنكي عن الهيئة..

^٦ لا يعتبر هذا الكلام دقيقاً، فقد أدان "لواء الإسلام - جيش الإسلام لاحقاً" مثلاً بيعة الجولاني للظواهري، كما أدانت المظلة الأوسع للفصائل في ذلك الوقت "جبهة تحرير سورية" تلك البيعات وما نتج عنها في بيان لها، وكانت جبهة تحرير سورية تضم أبرز الفصائل في ذلك الوقت، كلواء التوحيد، وصقور الشام، وكتائب الفاروق، ولواء الإسلام...، ينظر كمثال: "[مبايعة جبهة النصرة للقاعدة تثير حفيظة المجموعات الإسلامية في سورية](#)".

كما انتقد الباحث الطريقة التي يتم من خلالها دفع المعارضة السورية لقتال تنظيم "داعش" فقط دون قوات النظام، معتبراً ذلك أمراً "سخيفاً"، ولا يدعم الجهود الحقيقية لمكافحة التطرف.

وحول عوامل احتضان المجتمع السوري للجماعات المتطرفة يؤكد الباحث على أن ضعف دعم الجيش الحر من قبل المجتمع الدولي قد أدى إلى نمو الجماعات الجهادية بشكل كبير، كما يؤكد على ضرورة دفع الجماعات الإسلامية السورية لفك تحالفها مع القاعدة والجهاديين، مع الاعتراف بها كشريك ضروري في أية عملية سياسية يمكن أن تضمن السلام مستقبلاً.

كما يشير الباحث إلى أنّ اعتماد المقاربة العسكرية دون إنتاج حل سياسي يحتوي الجماعات الإسلامية، سوف يؤدي إلى نمو مستدام للجماعات الجهادية السنية، والتي أظهرت قدرة مُقلقة على البقاء وإعادة التّشكل والتأقلم مع التغيرات على الرغم من شدة استخدام الخيارات العسكرية ضدها.

كما يتحدث الكتاب عن الجماعات الأخرى ذات الأيديولوجيات المتقاربة مع تنظيم القاعدة، كجند الأقصى، وجمهية أنصار الدين، والحزب الإسلامي التركستاني، إضافة إلى الحركة البارزة في الساحة السورية، وهي "حركة أحرار الشام الإسلامية"، والتي تميل إلى أن يكون لها بعد محلي وأجندات وطنية.

وينتقد الباحث المتابع لأوضاع الجماعات الإسلامية "أيمن التميمي" الكتاب من عدة نواح، فيرى أنه قد احتوى على الكثير من مقتطفات خطب البغدادي وغيره من زعامات الجماعات الجهادية، وشروحات سردية مطولة عن عمليات ذبح الرهائن وأسماء بعض الجهاديين الأجانب، معتبراً بأنّ هذه المقتطفات لا تمتلك قيمة تحليلية كبيرة، مرجحاً أنّ أحد أسباب قصور الكتاب عن تحقيق التوازن المطلوب هو عدم معرفة الباحث باللغة العربية.

كما ينتقد أيمن التميمي طريقة تناول الباحث لحادثة قتل عدد من المواطنين الدروز في قرية "قلب لوزة" في محافظة إدلب على يد مسلحي "جمهية النصرة"، حيث يرى أن "ليستر" لم يسلط الضوء بشكل كاف على كيفية تغلغل النصرة في المنطقة بعد طردها لجمهية ثوار سورية في أواخر ٢٠١٤، كما لم يسلط الضوء على قيام النصرة بفرض التحول إلى "الإسلام السني" على السكان الدروز، على الرغم من أن طريقة تفكير جمهية النصرة بدت واضحة حول هذا الأمر في مقابلة أبو محمد الجولاني مع الإعلامي أحمد منصور التابع لقناة الجزيرة في أيار ٢٠١٥، وأنه على الرغم من الوعود التي أطلقتها جمهية النصرة بمحاسبة المسؤولين عن المجزرة، والذي كان تونسياً، لم يتم تنفيذ محاكمة حقيقية بحق الرجل، وتم الاكتفاء بإقالته من منصبه.

ويرى الباحث "أيمن التميمي" أنّ هذه النقطة ذات أهمية كبيرة، لأنها تبين أن نهج جمهية النصرة تجاه السكان الدروز المحليين مطابق لنهج داعش، التي كانت قد فرضت التحول إلى "الإسلام السني" على السكان في أواخر نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠١٣ عندما كان لها نفوذ واسع في محافظة إدلب، إلى جانب ذلك، يُغفل "ليستر" -بحسب التميمي- موضوع مصادرة المنازل الذي كانت تقوم به جمهية النصرة للأشخاص المعارضين لها.

كما يختلف التميي مع "ليستر" في مسألة عدم وجود أدلة ملموسة على التصرفات الطائفية لبعض أطراف المعارضة العسكرية والجهادية عند الدخول إلى مدينة كسب في محافظة اللاذقية، حيث حدثت اعتداءات على كنائس الأرمن، وذلك ما دلت عليه أيضاً تغريدات الشيخ عبد الله المحيسني الذي تحدث عن تكسير الصليب وإهراق الخمر.

ثالثاً – تعليقات على الكتاب والباحث:

على الرغم من عدم دقة الباحث في بعض النقاط، إلا أن رؤيته العامة للوضع في سورية منصفة ودقيقة نسبياً، وتُفند ما يحاول النظام وحلفاؤه نشره من أن النظام السوري يحارب الجماعات المتطرفة، تلك النظرة التي تأثر بها العديد من الصحفيين والباحثين الغربيين، فضلاً عن السياسيين الذين بدأوا يبشرون مؤخراً بضرورة بقاء بشار الأسد في المرحلة الانتقالية للحفاظ على مؤسسات الدولة، ومكافحة الإرهاب.

وكان واضحاً تأكيد الباحث على أن النظام السوري واستخباراته قد أرست عمداً البنية التحتية لنشوء أعداد لا متناهية من الجماعات المتطرفة، فضلاً عن الممارسات الوحشية للنظام السوري، والتي تُغذي التطرف في مختلف الاتجاهات، الأمر الذي يؤكد على عدم منطقية أي خيار يُبقي على ذات الأسباب والمولدات التي أدت إلى تشكيل البنية التحتية للتطرف والإرهاب في سورية والمنطقة، ومن ذلك ما تمّ طرحه مؤخراً من إعادة تعويم بشار الأسد ونظامه...

المراجع:

- [BOOK REVIEW: The Syrian Jihad by Charles Lister](#) - Chris Doyle
- [THE SYRIAN JIHAD: REVIEW](#) - By Aymenn Jawad Al-Tamimi
- [The Syrian Jihad: A Book Launch with Charles Lister](#) - Middle East Institute

"الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مركز برك للأبحاث والدراسات"

جميع الحقوق محفوظة لدى مركز برك للأبحاث والدراسات © ٢٠١٧